

## بدو العراق.. لا أحد يتذكرهم!

# في بادية الجزيرة، رعاة وقصور وسيارات فارهة

احمد عبد القادر

الحدودي، والسبب يعود إلى ارتفاع قيمة الدينار العراقي نسبياً فإذا بيع الخروف أو الشاة ب(٣٥) ديناراً أردنياً معناها أنها تساوي بالدينار العراقي (٧٣) ألفاً بينما يبيع داخل العراق بـ (٩٠) ألفاً أو أكثر! قلت: ألا تشعرعون بتأنيب الضمير على تهريب قوت الشعب وثروته بينما هو في أمس الحاجة إليها؟ فهقه بصوت عالٍ واجابني: ان المال والضمير شبيهان بالقط والفأر!

### وينسب الرعاة

أحد الرعاة، جاء بسيارته (البيك أب) ليخبر مضيفنا بوجود صفقة مناسبة من العلف الحيواني وتحديثاً أمامنا بالتفاصيل وقوضه الحاج حماد بالشرءاء، وطلب منه مسامحة البائع للحصول على أدنى سعر، فاستأذن منصرفاً. سألت الحاج حماد عن مكان إقامة الراعي وطريقة عمله أجاب مبتسماً: انه ليس راعياً بل رئيس الرعاة، فتحت قيادة خمسة رعاة يأمرون بقوله، وهو يسكن مع عائلته في بيت شعر بعيد هك من بيتي، اما رعايته فلكل منهم بيته وعائلة والجميع لديهم سيارات وصهاريج لنقل الماء إلى المشاية. لقد ولي عهد الحمار الذي يركبه الراعي، وقد لا تصدق إذا قلت لك ان في بيت لك واحد من هؤلاء جهاز ستايرت وفلاجة، فقد اشترت لهم مولداً كهربائياً ضخماً تقطره سيارة مخصصة لسحبه إلى حيث يذهبون، ان هؤلاء الرعاة يتقاضون رواتب عالية لا يحصل عليها كبار الموظفين في الدولة، وأنا أعاملهم كأبنائي تماماً.

### وبعد

عالم البدو الذي رأيته لا يمثل بالتاكيد حياة معظم افراد هذه التشريحة من الناس التي حافظت على حياتها الرعوية من دون ان تظهر عليها علامات الثراء. ويظهر ان بدو المناطق الحدودية وحدهم يتمتعون بهذا الثراء (وضربوا ضربتهم!) بتهريب الاغنام إلى دول الجوار زمن الحظر الاقتصادي فجمعوا ثروات طائلة.. وسوى هؤلاء، العراق الجديد، وتعتقد ان من صميم واجب وزارة البيئة ان توفر لهم محميات طبيعية وتضع خططها بالتنسيق مع الوزارات الأخرى لتوفير الرعاية الصحية والطبية لهم.

**علما امتداد الصحراء الغربية تلوح للنظر قطعان متناثرة من الاغنام ، مئات بك ألوف يقف إزاء كل مجموعة عدد من الرعاة متمنطقين أحزمة من الرصاص ، وبنادق آلية بعد ان ولجا زمن البرنو وأم الدلعة وغيرهما من مخلفات العثمانيين والإنكليز.**  
**هؤلاء الرعاة يقطعون الصحراء بحثاً عن الكأ والماء لا تتنهم عن ذلك حرارة الصيف ولا برودة الشتاء ، أعظم سعادتهم ان يروا مساحة شاسعة يفرش العشب فيها سجادته الخضراء وتتوسطها بركة من المياه خلفتها الأمطار ، عندها ينصب بيوت الشعر المنسوجة من شعر الماعز ، المقسمة إلى قسمين ، قسم للرجال ، وآخر للنساء والأطفال.**



احدهم، وكان في الأربعين من عمره ان رايه في الاحداث، اجاب: انها كارثة ان ترى بلدك محتلاً، والاجنبي يصول ويجول في أرض العراق، لكن الذئب يقع على النظام السابق الذي تصرف بطيش وحماقة، وحرم الناس من خيرات العراق، وشن الحروب لقد كان لي اصدقاء في النظام السابق وهم من كبار المسؤولين، أزورهم في بغداد حاملاً لهم الهدايا الثمينة وكنا نجلس جلسات خاصة، وحين يصل بنا الحديث إلى الوضع الداخلي، ومعاناة الناس، يطلبون مني تغيير الموضوع وكنت المح الفرع في عيونهم، لقد جرى ما جرى على العراق، فقدنا الأمن، والوجاهة ونحن الآن مهددون من قبل القوات الأمريكية، فرغم حياتنا النائية لم نسلم من مدهاماتهم ، وتحليق طائراتهم وقد سمعت بالهجوم الذي تعرض له احد البيوت انه احد اقربائي، لقد مسح بيته عن الخارطة وقتل مع عائلته والكثير من الحاضرين الذين كانوا يحتفلون بمناسبة عرس والحجة هي وجود إرهابيين في البيت، وهذا افتراء.

### كناية التهريب

سألت محدياً ما حكاية التهريب إلى الدول المجاورة، وهل صحيح أنها توقفت؟ قال: التهريب تجارة مربحة، فقد كنا في العهد السابق نمارسها على نطاق واسع، حيث لنا عبر الحدود مع سوريا والأردن اصدقاء تنسق معهم لقاء عمولة مجزية فيسهلون لنا عبور مئات الشياء عبر الحدود، ولنا في الجانب الآخر معارف أيضاً، فيتم البيع بأثمان عالية نتيجة لظرف العملة حيث كان الدينار العراقي منخفضاً جداً، لقد جنينا الملايين من هذه التجارة، أما في الوقت الحاضر فيهد التجارة بارت برغم سهولة التهريب لغياب الضبط

غنمي، واصبح لي قطع يربو على المئة رأس، قرر والذي ان استقل بنفسي، ومن أجل استقراري طرح علي أبي فكرة الزواج فوافقت مسروراً، إذ لا يمكن لي أن انجز عمالي من دون مساعدة امرأة هكذا تزوجت وبارك الله في زواجي، بدأ الأطفال يتوافدون واحدا إثر الآخر، كان صديقك (شهاب) لعمل خريطة عند امهر المهندسين في زواجي، بدأ البنائ والبنائين والعمال، هكذا بدأت أشيد بيتاً على تخوم الصحراء، كان العمل على قدم وساق في أقل من ثلاثة أشهر انتصب البيت الذي تراه الآن، بدأت بتأثيثه بفاخر الأثاث نصبت مولدة كهربائية، ولو اطلعت على محتوياته لوجدت فيه كل ما هو موجود في أرقى مساكن بغداد.

### حديث في السياسة

توافد على مجلسنا عدة أشخاص، عرفهم الحاج حماد لي على أنهم أبناء عمومته، وهم يعيشون على مقربة منه ولهم بيوت مشابهة لبيته، كانت آثار يحمل جهاز اتصال نوع (تشربا) دار الحديث بينهم عن آخر مستجدات الوضع في العراق والمنطقة، علمت أنهم يدركون جيدا ما يجري وحين سألت

وأفيعها، قال بعد ان جلسنا للمسامرة: الحياة علمتني الكثير، ففي العاشرة من عمري ارسلني أبي لأعمل راعياً عند احد اقاربي لقاء أجر قدره نعتجان في السنة مع اكلي وشربي وكسوتي وكانت الحياة آنذاك تقوم على المحبة والاحترام والاخلاص في العمل، كنت حريصاً على انعامي جيداً، اسوقها إلى أول العنقود، كان علي ان اعلم اولادي الذين كبروا القراءة والكتابة، استديعت (ملا) من اقاربي) طلبت منه تعليمهم قراءة القرآن وكتابة الحروف، خشي ان يتشاؤوا مثلي اميين، انظر إلى ولدي شهاب، إنه يقرا ويكتب فما الحاجة إلى المدارس، إذ لا يطمح أمثالتا إلى وظيفة لا تسد الرمق ولا تجلب الإوج القلب.

### تهريب الاغنام

سألت الحاج حماد عن حكاية البيت المشيد وسط الصحراء وما علاقة ذلك بالحياة الرعوية التي يحيها؟ فهقته بصوت عالٍ واجاب: لقد فتح الله علي، بركاته، أصبحت ماشيتي بالألاف، اولادي أسهموا في هذه الثروة أين

والعاشرة من عمري ارسلني أبي لأعمل راعياً عند احد اقاربي لقاء أجر قدره نعتجان في السنة مع اكلي وشربي وكسوتي وكانت الحياة آنذاك تقوم على المحبة والاحترام والاخلاص في العمل، كنت حريصاً على انعامي جيداً، اسوقها إلى أول العنقود، كان علي ان اعلم اولادي الذين كبروا القراءة والكتابة، استديعت (ملا) من اقاربي) طلبت منه تعليمهم قراءة القرآن وكتابة الحروف، خشي ان يتشاؤوا مثلي اميين، انظر إلى ولدي شهاب، إنه يقرا ويكتب فما الحاجة إلى المدارس، إذ لا يطمح أمثالتا إلى وظيفة لا تسد الرمق ولا تجلب الإوج القلب.

مظهر للحياة. هذه رحلتي الأولى في مجاهل الرمال والصخور سألت رفيق السفر: كيف يعيش اهلك في هذه القفار؟ اجابني كن صبورا وسوف ترى، اننا الآن على مشارف الرطبة، ومنها سوف ننتقل في طريق جانبي إلى (مكر الذبيح) حيث اهلي واقربائي.

### قصص علما الرمال

بعد خروجنا من الرطبة، أخذت الصحراء طابعا حجرياً: التربة المتماسكة ذات اللون البني طفت على المساحات الشاسعة من الصحراء، وهي لا تخلو من أشوك ونباتات صحراوية تشكل طعاما شهياً للأبل التي رايناها على امتداد الطريق برعاتها النحيفي الأبدان، ذوي اللحي الكثة. الطريق الترابي انتهى بنا على حين غرة إلى بيت شاهق ذي طابقين ، صرخ بي زميلي: انتهت المسيرة وصلنا! تخرجنا من السيارة متجهين إلى السياج الخارجي قرعنا جرساً كهربائياً يحتل الركز الأيسر من الباب بعد هنيئة خرج علينا رجل في الخمسين من عمره، ذو ثياب فاخرة، بكوفية بيضاء وعقال مشرشر، صرخ مرحباً بنا بعد ان دعانا للدخول إلى البيت عبر ممر طويل يؤدي إلى مراب صغير يتسع لعدد من السيارات.

عرفت من صديقي ان هذا الشخص والده، القيم في هذا البيت، حيث يدبر مملكته الرعوية المتكونة من آلاف الاغنام، وعدة رعاة يجوبون الصحراء مع زوجاتهم واطفالهم.

### قصة الحاج حماد

كان الحاج حماد. والد صديقي. كريم الطبع يشعر جليسه بالألفة معه فتطوع بالحديث عن حياته على امتداد اربعين عاماً قضاها انيساً للصحراء بخيرها وشرها. ذئابها

حياة البادية شاقة، مخيفة إذ كل ما فيها قائم على المجهول، مساحات شاسعة من الرمال تنتظر موسم المطر الذي هو عماد الحياة في هذه الامكنة، فإذا ما تأخر المطر، أو هطل بكميات قليلة أصبحت الفلوات مقفرة أو ذات نبات هزيل لا يكاد يسد رمق هذه الحيوانات التي تحتاج إلى كميات كبيرة من الطعام لتجود بالدين واللحم، وتغذي صغارها المولودين حديثاً.

### أين البدو؟

هل بقيت حياة البدو كما كانت في الماضي؟ ما هو أسلوب عيشهم بعد التطور الهائل في التكنولوجيا والعمل؟ كيف يسكن هؤلاء الآن؟ هل تعلموا في المدارس؟ هل هم على احتكاك بما يدور في المجتمع؟ هل يعون ما يحدث الآن في بلادهم؟ ما هي مواقفهم السياسية من التغيير الذي حدث؟ أسئلة لا تحصى تدور في الذهن عن هؤلاء الذين يتخيلهم المرء متشغلين فقط في بلهم وشياهم المنعزلين في صحاراهم الواسعة، وليس من سبيل لمعرفة ما يدور هناك إلا بالذهاب إلى عالمهم الصيغ لكشف اللثام عن المخبوء وراء عالم يثير التساؤلات ويوحى بالألغاز.

### إلحاً مكر الذبيح

قبل شهر سنحت لي فرصة الذهاب إلى الصحراء الغربية، كان احد اصديقائي من عائلة رعوية تمتلك بيتاً (مكر الذبيح) احدي المناطق الصحراوية على الحدود العراقية السورية، فشاء هذا الصديق الذهاب إلى بيت اهله الصحراوي فلمحت له برغيتي في مرافقته فوافق مسروراً، رغبة بالحصول على رفيق لسفر لطول الطريق ووحشته. انطلقنا صباحاً بسيارته البيك أب موديل ٢٠٠١، كان الخط السريع المتجه غرباً يعج بمنات الشاحنات والحافلات، والسيارات الخاصة المنطلقة شرقاً وغرباً. سيارات الشرطة نلمحها على امتداد الطريق دوماً للمسافرين من اخطار الطريق، حيث يدهام اللصوص على حين غفلة إحدى السيارات ويسلبونها بعد ان يهدوا سائقها بالرصاص مما يجبر المسكين على تركها قانعاً بالسلامة، القوات الأمريكية تنتشر على جادتي الطريق يديباياتها، وعجلاتها المدججة بالسلاح. على امتداد البصر، تمتد الصحراء، قاحلة ذات رهبة، ليس هنالك مدينة أو

## تجاوز عددها ١٦٤ وإنتاجها فاض عن حاجة المحافظة

# مناهل كربلاء.. نهر من عسل

كاظم ناصر السعدي



ولضمان الحصول على عسل نقي خالص وغير مغشوش انصح بشرائه من المناحل وليس من الباعة الجوالين.

### أثر تلوث البيئة في النحل

يقول مهندس البيئة والنحال منهل عبد الرسول: ان التلوث الذي يتعرض له البيئة من مياه وتربة وهواء له تأثير مباشر في تربية النحل كالمبيدات التي تستعملها وقاية المزروعات لمكافحة الآفات الزراعية كالدوايس والبق الدقيقي تنتقل مادة المبيدات إلى الهواء أو الماء أو التربة أو على سطوح أوراق الأشجار والازهار، وهذه تنتقل بدورها إلى النحل عندما يرتشف الرحيق من الأزهار أو عندما ينقل الماء من المصادر إلى الخلايا فيسبب تلوث العسل فضلاً عما يسببه من أضرار ليرقات النحل والمجموعة النحلية.

لهذا يجب ان يكون هناك تنسيق وتعاون بين دائرة الزراعة واصحاب المناحل واتفاق حول مواعيد حملات وقاية المزروعات لتجنبها النحل مخاطر التلوث كما يجب توعية الفلاحين بضرورة الالتزام بتوجيهات الإرشاد الزراعي في حال قيامهم برش المبيدات الزراعية وعدم رش مبيدات وقاية المزروعات بصورة عشوائية. كذلك يجب وضع الرقابة المشددة على النحل المستورد من خارج القطر حرصاً على منع دخول الأمراض أو تفشيها في مناخنا.

### بيت الأصب واليوم

يقول النحال أبو حسن صاحب منحل ابن حبان: بعد ان تخلت وزارة الزراعة في زمن النظام السابق عن دعمها واسنادها لمناحل القطاع الخاص ذلك الدعم المتمثل في مكافحة أعداء النحل كقطير (أبو الخضير) والزنبور الأحمر بعد ان كانت تشكل فرقا خاصة لمكافحة أعداء النحل. والمتمثل أيضاً في جلبها سلالات ممتازة من النحل والمكبات من خارج القطر وفي تشجيع الفلاحين على تربية النحل وكانت ثمة تجربة في السبعينيات رعيتها وزارة الزراعة حاولت التوسع في هذا المجال إلا انها كانت غير مستوفية لشروط وعوامل نجاح التجربة حين وزعت خلايا النحل بين الفلاحين مجاناً قبل تدريبهم في ورش المناحل وتوعيتهم بالاساليب والطرق الناجحة في تربية النحل والعناية به، ففشلت هذه التجربة بسبب إهمال الفلاحين للخلايا لعدم امتلاكهم الخبرة والدراية بكيفية تربية النحل. فبدلاً من ان تكون الخلايا مصدراً لإنتاج العسل صارت مصدراً لانتشار أوبئة النحل كالبدودة الشمعية وبعض الامراض مثل: (النوزينيا). كما تولد لدى الفلاحين رد فعل سلبي تمثل في كراهيتهم للنحل لما سببه لهم ولأطفالهم من أذى اللسع. اما اليوم وفي ظل العراق الجديد فالنحالون يتطلعون إلى مزيد من الدعم والرعاية والتشجيع وذلك عن طريق توفير كل ما تحتاجه مناحل القطاع الخاص من مستلزمات تحسين وزيادة انتاج العسل وتربية النحل كالفراشات

فيطعي للنساء الحوامل والمرضعات وللمرضى في دورالنفاهة لأنه يحتوي على مركبات الحديد والمنغنيس وعسل ازهار البرسيم مفيد لمرضى السكر لاحتوائه على سكريات بسيطة كالكوكوز والبركتوز. وعسل دوار الشمس مفيد للوقاية من الإصابة بالجلطة لأنه يساعد على إزالة الكولسترول من الأوعية الدموية ويوسع الأوعية الدموية الشعرية. وعسل ازهار الحمضيات منشط ومغز لعضلة القلب. وقد ورد ذكر العسل في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة وفي روايات أهل البيت لقيمتها الغذائية والدوائية العالية فيروي عن النبي (ص) قوله: (من لعق لعقة عسل في غدوته لن يصاب بعظيم بلاء). ويروي أيضاً عن الإمام الصادق (ع) قوله (لو علم الناس فوائد العسل لجعلوه في كل وجبة طعام).

### أوائد مختلفة

ويواصل النحال عبد الرسول حديثه قائلاً: يتأثر لون العسل بنوع الرحيق الذي يتمصه النحل فهناك اللون الأصفر القاني والعامق واللون الأحمر والمائل إلى البني وهكذا، أما العسل الشائع فهو عسل (العنبر) أو ما يسمى بـ(الكوكتيل) وهو العسل الماخوذ من جميع مصادر الرحيق. وهذا النوع يفرز في الشهر السابع من كل عام. ويعدوه النحالون بـ(شهر فيض العسل). ويجدر القول: ان من خواص العسل الطبيعي التبلور أو ما نسميه بالهجة الشعبية (يشكر).

وخاصية التبلور طبيعية في كل أنواع العسل إلا ان مدتها تختلف من عسل لآخر فاسرعها بالتبلور عسل دوار الشمس وابطأها عسل الحمضيات والكالببتوس ومما يساعد على تبلور العسل انخفاض درجة الحرارة. ولا غرابة في ذلك فإن الدبس يتبلور أيضاً. وهناك اعتقاد خاطئ شائع هو ان العسل إذا تبلور فهذا يعني مضافاً له سكر وهذا غير صحيح بل ان العسل الصناعي لا يتبلور.

### كيف تعرف العسل المغشوش؟

لمعرفة غش العسل من دون اللجوء إلى التحليل المختبري يقول النحال منهل عبد الرسول: يمكن تطبيق الخطوات الآتية: ١. أقلب قنينة العسل فإذا صعدت فقاعة الهواء بسرعة إلى الأعلى فهذا من دلائل سلامته. ٢. خذ ملعقة من العينة فإذا ظل خيط العسل متصلاً ولا ينفصل بسهولة إلا بعد فترة فهذا من دلائل سلامته. ٣. اغمس عود ثقاب في العسل وحاول اشعاله فإذا احترق العسل وتضحم فهذا يعني انه مغشوش. ٤. اسكب قليلاً من العسل على الرمل فإذا تكور واحاط به الرمل فهذا من دلائل سلامته. ٥. ضع قليلاً من العسل في الماء المغلي فإذا ذاب تماماً في الماء ولم يترسب منه شيء في قاع القدر فهذا دليل سلامته. ٦. ضع قليلاً من العسل على ورقة واحرق الورقة فإذا بقي العسل على حاله ولم يحترق فهذا دليل على سلامته.

تشتهر محافظة كربلاء بسباتينها العامرة بأشجار الفواكه والحمضيات وبالبحول الغنية بأنواع المحاصيل الزراعية. لهذا كثر فيها المناحل كورش لإنتاج العسل الطبيعي الذي يعد في مقدمة الأغذية الكاملة. فهو يتألف من الماء والبروتين ومجموعة نافعة من الفيتامينات والأملاح، وكل (١٠٠ جم) منه تعطي الجسم ٣٩٤ سعرة حرارية، وهو يفيد في علاج عدد من الأمراض مثل: أمراض الجهاز الهضمي، والتنفسي والعيون والأعصاب والجروح وغيرها.

فمسل النحل غذاء ودواء يصنع من رحيق الأزهار. وللنحل خاصية التمييز في اختيار نوع الأزهار التي يربد امتصاص رحيقها. لذلك فإن الأزهار جذبا في الغنية بالرحيق وحبوب اللقاح. وتختلف ألوان العسل وفوائده باختلاف الرحيق المنتج منه.

### ظاهرة انتشار المناحل في كربلاء

النحال عبد الرسول الشيخ حسن يقول: تشتهر محافظة كربلاء بتنوع محاصيلها الزراعية لهذا ازدهرت فيها تربية النحل ، لان النحل يحصل على غذائه بفضل وفرة مصادر الرحيق وتنوعها من أزهار الأشجار والنباتات في عشرة اشهر من السنة فمثلاً تبدأ الشجبة الشمشي والأجاص بطرح الأزهار في كانون الثاني أي في بداية السنة وبعد عشرين يوماً تليها الحمضيات ثم الرمان ثم العرموط والتفاح وهكذا النخيل والزيتون فضلاً عن أزهار الكالببتوس حيث يزهر مرتين في السنة وأزهار السدر. يزهر مرتين في السنة أيضاً. فضلا لا تعدد الخضروات وعلاوة على ذلك والبرسيم. فتعدد مصادر الرحيق في أكثر المواسم شجع الناس في كربلاء على عمل المناحل وتربية النحل كمشاريع اقتصادية مجدية وتناجحة إذا ما توفرت شروطها ومقوماتها اللازمة. فعند المناحل بلغ حتى عام ٢٠٠٤ (١٦٤). والعسل المنتج يفيض عن حاجة المحافظة لدرجة ان النحالين يحنثرون احياناً في كيفية تصريفه.

### غذاء ناعم

ويضيف النحال عبد الرسول الشيخ حسن قائلاً: المعروف كيميائياً ان حلالة العسل هي نصف حلالة السكر العادي (السكروز) لكن سكرياته بسيطة سهلة الهضم، وهو يصلح غذاء مفيداً للصغار والكبار لاحتوائه على فيتامينات وأملاح وبروتين. وللعسل لزوجية خاصة تستطيع ان نهيئها عن بقية السوائل. وان كثافته تساوي ١,٤ بالعمشة غرام سم، ٣ ومن الخطأ ان نفضل نوعاً من العسل على نوع آخر إذ ان لكل نوع لونه وفائدته العلاجية والصحية المتعلقة بمصدره الغذائي.

### غذاء ودواء

وعن أهمية العسل في معالجة بعض الأمراض يقول: تتعدد فوائد العلاجي حسب مصدر غذاء النحل. فمثلاً عسل ازهار الكالببتوس مفيد لأمراض الجهاز التنفسي كالتهاب القصبات والسعال والتهاب الأوتار الصوتية. وعسل أزهار السدر مفيد لفقير الدم

اعادة تشكيل جمعية النحالين العراقيين